





بما فيها تحديد العصر الحجري الأوسط والعصر الحجري الحديث في أذربيجان. وفي موقع العصر الحجري الأوسط المتأخر «فيروز»، تم اكتشاف مقبرة تضم بقايا أحد عشر إنسانا، والذين كانوا قريبين للغاية من الأذريين المعاصرين من حيث طابعهم الأنثروبولوجي (الأنثروبولوجيا هي مجموعة التخصصات العلمية التي تدرس الإنسان وأصله وتطوره- المترجم). وتتيح لنا هذه الحقائق، وكذلك المشاهد ذات المضمون الإثنوجرافي للرسومات الجدارية، بما فيها التي تصور اختطاف النساء، استنتاج أن قدماء السكان في قوبوستان يمثلون- أسلاف الأذريين المعاصرين.

في عام 1966، تم إعلان قوبوستان محمية طبيعية، وفي عام 2007 جرى ضمها إلى قائمة التراث الثقافي العالمي من قبل منظمة اليونسكو. وواجبنا جميعا- الحفاظ على تلك البقعة الفريدة من الوطن، التي تحتفظ بماضينا البعيد، ونقلها إلى أحفادنا.

#### المراجع

مودر أ. الآلات الموسيقية. موسكو، «دار النشر الموسيقية الحكومية- موزجيز»، 1959، ص 15.  
بهمان ف. مصادر آسيا الوسطى حول موطن الآلات ذات الأقسام // موسيقى شعوب آسيا وأفريقيا، الإصدار 2. موسكو، «المؤلف السيمفوني السوفيتي»، ص 349-373.

Marağalı Ə. Musiqi alətləri və onların növləri .

// Qobustan, 1977, № 1, s. 77

عبد اللايفا س. الآلات الموسيقية الشعبية في أذربيجان. باكو، دار نشر «إيلم»، 2000، ص 79.

Bakıxanov Ə. Ömrün sarı simi, Bakı, «İşıq», 1985, s. 16

الأرخبولوجية في قوبوستان، أشار إلى أن الرسومات الجدارية للسنن في قوبوستان، هي الأقدم على الإطلاق في العالم، لذلك تعد أذربيجان موطن الملاحظة.

أثناء الأبحاث الجارية في قوبوستان، جرى دراسة مواقع: «مغارة الصيد»، و«الملجأ الرابع تحت الصخر»، و«المغارة الرئيسية»، و«كيانيزا»، و«الثيران»، و«الثيران 2»، و«الآيل»، و«أسفل الصخور»، و«فيروز»، و«فيروز 2»، و«شونجار»، و«شمبالي»، وقبرين من العصر الحجري، وبيت من العصر البرونزي «بيوكداش»، و«كروج»، ومعبد يعود إلى القرون الوسطى، وأكثر من أربعين حوش للمقابر. وعلى أساس مواد الحفريات، فقد جرى الحصول على معطيات غاية في الأهمية حول أوجه الحياة الاقتصادية، وصور المعيشة، والثقافة المادية، والفنون، والعالم الروحي، ومعتقدات سكان قوبوستان عبر مختلف المراحل التاريخية. وتتشكل غالبية أدوات العمل في تلك المواقع من الحصى أو قطع حجر الصوان، وتتمتع الأخيرة بطابع أدوات العمل الصخرية. وتُصنع من العظام أطراف السهام، والإبر، وأدوات إعداد الشباك وغيرها. كما تصادف الخلى المصنوعة من الحصى، والقواقع، وأسنان مختلف الحيوانات. وتشهد قوة الطبقة الحضارية (الطبقة الحضارية هي طبقات الأرض في الأماكن التي سكنها الإنسان والمحتفظه بآثار النشاط البشري، ويختلف سمك هذه الطبقة من بضعة سنتيمترات إلى 30-35 متر طبقا لاستمرار حياة البشر في تلك البقعة ونشاطهم- المترجم) على الطابع الحضري لسكان قوبوستان في العصر الحجري.

وأثناء القيام بالحفريات الأثرية في مختلف طبقات الأرض ذات الأعمار المختلفة، تم اكتشاف عدة أحجار مزخرفة صغيرة الحجم ورسومات منقوشة على جدران مختلف المواقع، مغطاة بالطبقة الحضارية، وتمثل تلك الاكتشافات أهمية بالغة في حل مختلف القضايا التاريخية- الأرخبولوجية،



يمكن مشاهدة طقوسها عبر أحد الرسومات المنقوشة على جدران قوبوستان، قد نشأت تحديداً في تلك المناطق، حيث كانت تؤدي بمصاحبة العزف على آلة القوالداش. لقد لعب قرب موقع بحر القزوين دوراً هاماً في تسهيل العمل بصيد الأسماك في حياة قدماء سكان قوبوستان. فقد كانت تلك الأماكن في ذلك الوقت تمثل مواطن لمعيشة القزوينيين- من صنّاع السفن المهرة، والبحارة والصيادين. واستناداً إلى المواد التاريخية، فإن هذه القبائل تعود بأصلها إلى قدماء شعوب القوقاز. وكانوا يصنعون قواربهم من القصب بصورة رئيسية. وعند زيارته لقوبوستان لأول مرة في عام 1981، قام تور خيردال بإجراء قياس بين سفينتيه «رع» و«تجريس» (تجريس- سفينة مصنوعة من أعواد القصب أبحر بها في نوفمبر لعام 1977 الباحث النرويجي تور خيردال على رأس البعثة الدولية في محاكاة للسفن القديمة- المترجم) وبين السفن القديمة لقوبوستان. وبعد اطلاعه على مواد الدراسات

تصور البشر في مشاهد مختلفة من الصيد أو العمل، وكذلك المتميزين من زعماء القبائل أو كبارهم. بين صور الحيوانات التي تشكل غالبية الرسومات الجدارية، نشاهد صور الثيران، والغزلان، والحياد، الأيائل، الخنازير البرية، السود، النمور، الذئاب، الثعالب، الكلاب، الهررة، الأسماك، الطيور، السحالي، السلاحف، العقارب وغيرها. وقد جرى تصوير الحيوانات على نحو أكثر واقعية. كما تضم قوبوستان أيضاً التصاوير الملونة. فقد استطاع الرسامون القدماء بمهارة فائقة تصوير أصحابهم في رسوماتهم، والحيوانات التي مثلت موضوعاً للصيد أو التعاويذ، وكل ما يجري حولهم بصورة عامة، وبهذا خلفوا للأجيال اللاحقة أثمن الشواهد على تلك الفترة. وتنتشر رسومات القوارب عند سلسلة جبال بيوكداش وكيشكداش. وقد جرى وضع تلك الرسومات باستخدام حصى النهر أو قطع من حجر الصوان. ويُفترض أن الرقصة الأذربيجانية القديمة «باللا»، والتي







وباعتبارها رمزا للأوممة، يجرى إبراز الصدر والفخذ. ويرى العديد من الباحثين أن تصوير النساء والأجسام يمثل رمزا للخصوبة. ومن وجهة نظرنا، فإن تصوير النساء في قوبوستان يجسد استمرار النوع ويشهد على عبادة المرأة. ويُصور القوس والسهم مع بعض رسومات أجسام النساء، وتُزين بعض الرسومات الأخرى بالزخارف، أو الملابس التي تكسو أجسادهن.

وتظهر أجسام الرجال في قوبوستان واسعة المنكبين، وبنية متينة، مع إبراز عضلات الساقين، ورباط يلتف حول الخصر، وفي الكثير من الحالات مع القوس والسهم المحمولين على الأكتاف، والبعض منهم يحمل بين يديه الأسلحة، التي تشبه الكيد المرتد (Boomerang - عبارة عن قطعة منحنية من الخشب تدور بسرعة عند قذفها بصورة صحيحة وتعود إلى نقطة القذف، وكانت تستخدم سلاحا في العصور القديمة- المترجم). ويتيح لنا الرباط حول الخصر تقدير المناخ والثلثاب السائدة في ذلك العصر. وإجمالاً، فإن رسومات قوبوستان

وتصور النقوش الجدارية في قوبوستان: الناس، والوحوش، والأجرام السماوية، والطيور، والأسماك، وشباك الصيد البري وصيد السمك، والثعابين والسحالي والعقارب، ومختلف الرموز والإشارات، وكذلك بقايا النقوش العربية والرسومات اللاتينية. وهكذا، فإن الأطر الزمنية التاريخية الواسعة التي تشمل تلك النقوش الجدارية، وتنوع موضوعاتها المختلفة، وتجسيد مشاهد الحياة المتنوعة، وواقعتها، واستخدام مختلف الوسائل التقنية في وضعها، تجعل مجتمعة من قوبوستان مجموعة تاريخية فريدة من نوعها، ومتحفا نادرا مكتشفا تحت قبة السماء، يحتفظ بمقتنياته في مواقعها الأولية الأصلية.

يمثل تصوير البشر والحيوانات ومشاهد الحياة التي يشتركون فيها، الموضوع الرئيسي للنقوش الجدارية في قوبوستان. وتعود أقدم الرسومات التي تصور البشر إلى العصر الحجري القديم. وتمثل تقنية النقر المشابهة للنحت الغائر- السمة المميزة للنقوش الجدارية في قوبوستان. وعند تصوير النساء،



الثامنة عشرة- الخامسة عشرة قبل الميلاد، وحتى فترة القرون الوسطى، وقد استمرت الحياة تجرى بصورة متصلة خلال تلك الفترة، ذلك دون الأخذ في الاعتبار بالوقفات القصيرة لنشاط بعض مواقع الإنسان البدائي نتيجة للحوادث الطبيعية.

وتنقسم آثار قوبوستان إلى: (1) النقوش الجدارية، و(2) المواقع الأثرية وغيرها من الأشياء الأخرى. وطبقا للدراسات الحديثة، فإن منطقة انتشار النقوش الجدارية تشمل نطاقا أوسع من الافتراضات السابقة، حيث أضيفت آثار شونقار، وشيخقيا، وشيخوفا إلى نقوش بيوكداش، وكيشكداش، وجينجيرداق، ويازيليتيبى.





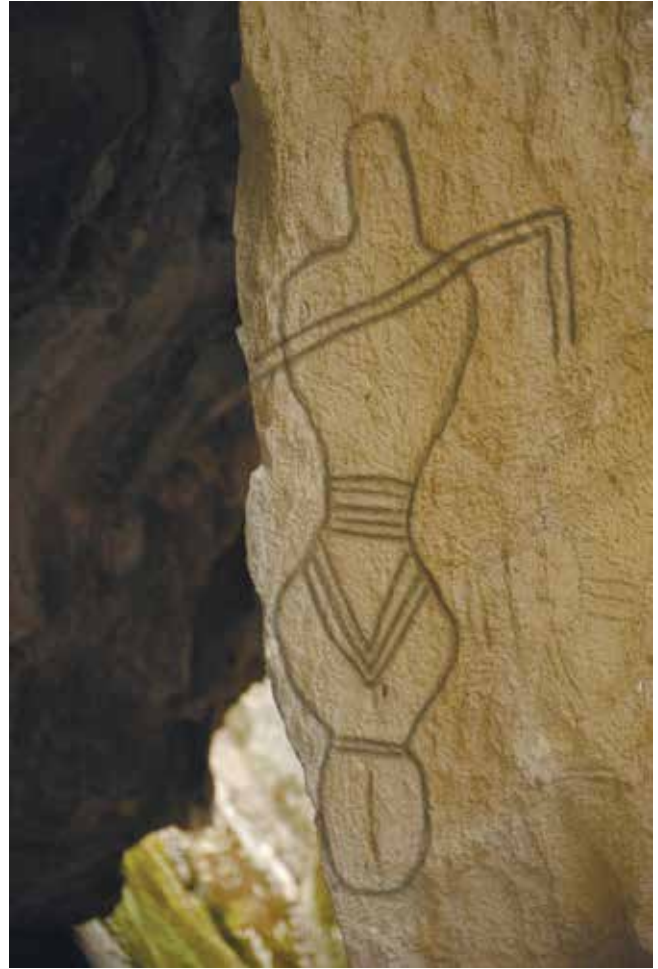






سلاسل جبال بيوكداش وكيشكداش، وقرب شواطئ بحر القزوين، عاملا ملائما لاستيطان قدماء البشر. وفي العصر الحجري استغل قدماء البشر القمم الممهدة لتلك الجبال في مطاردات الصيد، وفي العصر البرونزي- باعتبارها من التحصينات الطبيعية. ونتيجة للظروف التي ذكرناها فقد صارت أراضي قوبوستان ثرية بالنقوش الجدارية، ومواقع الإنسان البدائي وغيرها من آثار الماضي البعيد.

وقد صارت النقوش الجدارية لقوبوستان معروفة للعلم في عام 1939-1940، وذلك بفضل أبحاث إ. م. جعفر زاده، الذي كشف عن حوالي 3500 من النقوش الجدارية والرسومات والرموز، وكذلك الحفر، والثقوب في الصخور الذي حفرها الإنسان وغيرها. ومنذ عام 1965، تولت دراسة آثار قوبوستان البعثة العلمية الخاصة التي يرأسها ج. رستموف وف. مرادوف. وقامت البعثة بالدراسات الأرخيولوجية لأكثر من عشرين بيت وملجأ، وأكثر من أربعين حوش للقبور، وكشفت عن ثلاثمائة نقش جداري جديد وقامت بتوثيقها. وفي الوقت الراهن وصل عدد النقوش الجدارية المعروفة في قوبوستان إلى ستة آلاف نقشا. واستنادا إلى المواد المتراكمة لدينا حتى وقتنا هذا، فإن ظهور النقوش الجدارية والحجرية في قوبوستان يعود إلى فترة طويلة من الزمن تمتد منذ الألف



نسبيا. والنهر الرئيسي هو نهر- جيرانكتشميز. وتنتشر على جبل بيوكداش الآبار والينابيع، والتي تستمد مياهها من المياه الجوفية للرواسب الجيرية ومن هطول الأمطار. ويعود إلى الحياة عالم الحيوان والنبات بعد هطول الأمطار القصير في الربيع والخريف.

غير أنه منذ بضعة آلاف من السنين، استقرت ظروف الطبيعة في قوبوستان على نحو أكثر ملاءمة لحياة البشر- يشهد على هذا الأمر النقوش الجدارية المتنوعة للحيوانات، والنتائج التي وصلت إليها الأبحاث الأثرية.

كان العصر الحجري في تلك البقاع يتسم بالانتشار الواسع للحباد البرية، والغزال، والثور البدائي، والماعز الجبلي، والخنازير. وكانت الأراضي مكسوة بالغطاء النباتي الكثيف من نوع السافانا، وربما بمساحات من الغابات. كما مثلت



الشروط الطبيعية والجغرافية المواتية لحياة البشر. وتمثل قوبوستان، المعروفة على الصعيد العالمي، واحدة من بقاع البلاد الأكثر ثراءً بالآثار القيمة للحُقب الغابرة. قوبوستان هي- منطقة جغرافية تقع في شرق أذربيجان. وهي منطقة جبلية منخفضة واسعة بين أطراف سلسلة جبال القوقاز الكبير وبحر القزوين، وتتقاطع معها الوديان الوعرة والجافة («قوبو» بمعنى- وهدة، أو مجرى النهر الجاف). ويحد قوبوستان من الشمال- امتداد سلسلة جبال القوقاز الرئيسية، ومن الغرب- وادي نهر بيرساتشاي، ومن الجنوب- جبال ميشفوداق وخزامي، ومن الشرق- شواطئ بحر القزوين وشبه جزيرة أبشيرون. ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب مائة كيلومترا، ويصل الطول من الغرب إلى الشرق حتى ثمانين كيلومترا. ويقع هنا أكبر البراكين الطينية في القوقاز. والمناخ شبه استوائي جاف مع شتاء معتدل وصيف حار

تنتمي أذربيجان إلى مناطق الاستيطان الأولى للإنسان وانتشاره. ويشهد على هذا الأمر الآثار التاريخية والأرخبولوجية التي تم العثور عليها- وتعود إلى كل المراحل المختلفة لتطور الإنسان. وقد أطلق المؤرخون على أذربيجان اسم المتحف تحت الأرض، فهي تتمتع منذ القدم بأفضل



قوبستان



# قوبوستان- الكنز الوطني لأذربيجان

